

نماذج من الرقي الأخلاقي

(١٩)

إعداد الدكتور

عبد العزيز بن عبد الله الحميدي

الأستاذ بجامعة أم القرى

والمدرس بالمسجد الحرام



بسم الله الرحمن الرحيم





مواقف في الاهتمام بالعلم





من مواقف عبد الله بن عباس رضي الله عنهما

لقد كان ابن عباس رضي الله
عنهما حريصا على العلم دؤوبا في
جمعه وتحصيله حتى استوعب علم
أكابر الصحابة إلى جانب ما استفاده
من النبي ﷺ، ومن شواهد ذلك ما
أخرجه الإمام الدارمي بإسناده عن
عكرمة عن ابن عباس قال: لما توفي
رسول الله ﷺ قلت لرجل من
الأنصار: يا فلان هلم فلنسأل
أصحاب النبي ﷺ فإنهم اليوم كثير،



فقال: واعجباً لك يا ابن عباس أترى
الناس يحتاجون إليك وفي الناس من
أصحاب النبي ﷺ من ترى، فترك
ذلك وأقبلت على المسألة، فإن كان
ليبلغني الحديث عن الرجل فآتيه
وهو قائل ^(١)، فأتوسد ردائي على بابه
فتسفي الريح على وجهي التراب،
فيخرج فيراني فيقول يا ابن عم

(١) أي نائم في القبيلة .



رسول الله ما جاء بك؟ ألا أرسلت
إليّ فأتيك! فأقول: أنا أحق أن أتيك،
فأسأله عن الحديث، قال: فبقي
الرجل حتى رأني وقد اجتمع الناس
عليّ فقال: كان هذا الفتى أعقل
مني^(١).

أما تلاميذ ابن عباس فقد كانوا
كثيرين جدًّا حتى كان موكبه يشبه

(١) سنن الدارمي / المقدمة ١ / ١٤١ .



مواكب الخلفاء، كما جاء عن يزيد بن
الأصم قال: خرج معاوية حاجاً معه
ابن عباس، فكان لمعاوية موكب
ولابن عباس موكب ممن يطلب
العلم^(١).

وذكر الحافظ ابن كثير من خبر
شقيق بن سلمة قال: خطب ابن

(١) سيرة أعلام النبلاء ٣/ ٣٥١.



عباس وهو على الموسم فافتتح سورة
البقرة، فجعل يقرأها ويفسرهما،
فجعلت أقول ما رأيت ولا سمعت
كلام رجل مثله، لو سمعته فارس
والروم لأسلمت^(١).

فهذا مثل من سعة علم حبر
الأمة عبد الله بن عباس رضي الله

(١) البداية والنهاية ٨/ ٣٠٣.



عنها وتعمقه في تأويل القرآن .
وقول أبي وائل « لو سمعته
فارس والروم لأسلمت » دليل على
قوة تأثير ابن عباس على السامعين
لقوة تأثيره هو بما يقول، وحسن
اختياره للمعاني والألفاظ .



من مواقف

سعيد بن المسيب وقتادة رحمهما الله

من ذلك ما رَوَى الإمام مالك

عن سعيد بن المسيب رحمه الله أنه

قال: إن كنت لأسير الأيام والليالي في

طلب الحديث الواحد ^(١).

وسعيد بن المسيب المخزومي

القرشي من أكبر سادة التابعين وعالم

(١) سير أعلام النبلاء ٤/ ٢٢٢.

أهل المدينة في وقته ، وقد حصل له
ابتلاء في حياته على يد بعض ولاية
المدينة، فقد ضُربَ وأُوقِفَ في
الشمس، ومع ذلك لم يتركه طلاب
العلم بل حاولوا الاستفادة منه وهو
في تلك الحال كما جاء في رواية عن
قتادة بن دعامة السدوسي رحمه الله
قال: أتيت سعيد بن المسيب وقد
أُلْبِسَ تَبَّانَ الشعر وأُقيم في الشمس
فقلت لقائدي: أدنني منه فأدناني،
فجعلت أسأله خوفا من أن يفوتني،



وهو يجيبي حسيّةً والناس
يتعجبون^(١) .

وهو موقف يثير العجب فعلا
عند عامة الناس، ولكنه بالنسبة
لطلاب العلم أمر معتاد، فكم
خاطروا بحياتهم في الأسفار، وكم
كابدوا من المشاق في سبيل طلب
العلم!

(١) سير أعلام النبلاء ٢٣٢ / ٤ .

من مواقف

أبي حنيفة النعمان رحمه الله

من أخبار العلماء في الجد في طلب العلم وطول ملازمة الشيوخ
ما روي عن الإمام أبي حنيفة قال:
قدمت البصرة فظننت أني لا أسأل
عن شيء إلا أجبت فيه، فسألوني عن
أشياء لم يكن عندي فيها جواب،
فجعلت على نفسي أن لا أفارق حمادًا



حتى يموت، فصحبته ثماني عشر
سنة^(١).

يعني شيخه حماد بن أبي سليمان
رحمه الله.

ومن مواقف الإمام أبي حنيفة
وتلميذه أبي يوسف رحمهما الله
ما ذكره الحافظ ابن كثير من خبر
الإمام القاضي أبي يوسف يعقوب بن

(١) سير أعلام النبلاء ٦/ ٣٩٨.

إبراهيم صاحب الإمام أبي حنيفة
قال: توفي أبي وأنا صغير فأسلمتني
أمي إلى قصار^(١)، فكنت أمرُّ على
حلقة أبي حنيفة فأجلس فيها، فكانت
أمي تتبعني فتأخذ بيدي من الحلقة
وتذهب بي إلى القصار، ثم كنت
أخالفها في ذلك وأذهب إلى أبي
حنيفة، فلما طال ذلك عليها قالت

(١) القَصَّار الصانع أو مبيض الثياب .

لأبي حنيفة: إن هذا صبي يتيم ليس
له شيء إلا ما أطعمه من مغزلي،
وإنك قد أفسدته علي، فقال لها:
اسكتي يارعناء^(١)، هاهو ذا يتعلم
العلم وسيأكل الفالودج بدهن
الفتق في صحون الفيروزج، فقالت
له: إنك شيخ قد خرفت، قال أبو
يوسف: فلما وليت القضاء— وكان

(١) أي ياحمقاء .

أول من ولاه القضاء الهادي، وهو
أول من لُقِّب قاضي القضاة، وكان
يقال له: قاضي قضاة الدنيا لأنه كان
يستنيب في سائر الأقاليم التي يحكم
فيها الخليفة- قال أبو يوسف: فبينما
أنا ذات يوم عند الرشيد إذ أُتِيَ
بفالودج في صحن فيروزج، فقال لي:
كل من هذا فإنه لا يُصنع لنا في كل
وقت، وقلت: وما هذا يا أمير
المؤمنين؟ فقال: الفالودج، قال:
فتبسمت فقال: مالك تبسم؟ فقلت:



لا شيء أبقي الله أمير المؤمنين، فقال:
لتخبرني، فقصصت عليه القصة،
فقال: إن العلم ينفع ويرفع في الدنيا
والآخرة، ثم قال: رحم الله أبا حنيفة
فلقد كان ينظر بعين عقله، مالا ينظر
بعين رأسه^(١).

ففي هذا الخبر مثل على اهتمام
الطلاب آنذاك بالعلم، حيث تنبه

(١) البداية والنهاية ١٠ / ١٨٦ - ١٨٧ .

الإمام أبو يوسف إلى أهمية العلم
وهو طفل، وفراصة عالية وتقدير
للعلم من الإمام أبي حنيفة حيث
أخبر بما سيؤول إليه أمر أبي يوسف،
وموقف لأمر المؤمنين هارون
الرشيد في إعزاز العلماء وتقديرهم .



من مواقف هاشم السلمي
وشيوخه أبي شيبة رحمهما الله

من ذلك ما ذكره الحافظ ابن
كثير في ترجمة أبي معاوية هاشم بن
بشير بن أبي حازم السلمي، قال: كان
أبوه طباحا للحجاج بن يوسف
الثقفي، ثم كان بعد ذلك يبيع
الكوامخ^(١)، وكان يمنع ابنه من طلب

(١) جمع كامخ، معرّب، وهو اسم لما يؤتدّم به .

العلم ليساعده على شغله، فأبى إلا
أن يسمع الحديث، فاتفق أن هاشمًا
مرض فجاءه أبو شيبه قاضي واسط
عائداً له ومعه خلق من الناس، فلما
رآه بشير فرح بذلك وقال: يا بني أَبْلَغَ
من أمرك أن جاء القاضي إلى منزلي؟
لا أمنعك بعد هذا اليوم من طلب
الحديث ^(١).

(١) البداية والنهاية ١٠ / ١٩٠ .



وهكذا عرف بشير بن أبي
حازم قيمة العلم ومنزلة أهله حينما
جاء قاضي واسط ومعه أهل العلم
لزيارة ابنه هاشم الذي كان -آنذاك-
من طلاب العلم، وكم كانت فرحته
حينما جاء القاضي لزيارته لما سترتب
على ذلك من تقدير أبيه للعلم وأهله،
وهذا موقف يذكر لأبي شيبه قاضي
واسط في تقديره لطلاب العلم، ولقد



رفعت هذه الزيارة الحرج عن هاشم
ابن بشير، حيث أصبح أبوه لا يمنعه
بعد ذلك من العلم .



موقف هشام بن عمار رحمه الله
من أمثلة اهتمام العلماء بطلب
العلم ما روي عن هشام بن عمار قال:
دخلت على مالك^(١) فقلت له:
حدثني، فقال: اقرأ، فقلت: لا بل
حدثني، فقال: اقرأ، فلما أكثر
عليه، قال: يا غلام تعال اذهب بهذا
فاضربه خمسة عشر، فذهب بي

(١) يعني الإمام مالك بن أنس .



فضر بني خمس عشرة درّة^(١) ، ثم جاء
بي إليه، فقال: قد ضربته، فقلت له: لم
ظلمتني؟ ضربتني خمس عشرة درّة
بغير جرم، لا أجعلك في حل، فقال
مالك: فما كفارته؟ قلت: كفارته أن
تحدثني بخمسة عشر حديثاً، قال:
فحدثني بخمسة عشر حديثاً، فقلت

(٢) الدرة بكسر الدال العصا الصغيرة .



له: زد من الضرب وزد في الحديث،
فضحك مالك وقال: اذهب^(١).

فهذا مثل بليغ في اهتمام طلاب
العلم بالتحصيل العلمي في رواية
السنة النبوية وقد كانوا يرون أن
تحديث الشيخ إياهم أعلى من
قراءتهم عليه ولكن علماء المدينة

(١) سير أعلام النبلاء ١١/٤٢٩ .

اعتادوا على قراءة تلاميذهم عليهم،
فقد احتمل هشام بن عمار الضرب
في سبيل العلم، وكان يريد المزيد من
العلم وإن ناله مزيد من الضرب في
سبيل ذلك .

وفيه مثل من اهتمام الإمام
مالك بتأديب الطلاب الذي قد يصل
إلى حد الضرب، ومع أنه قد فعل
ذلك على سبيل التأديب فإنه لما تظلم
إليه هشام بن عمار غلب عليه جانب
الخوف من الله تعالى فسأل ذلك



الطالب عن كفارة ما حصل منه
نحوه، وهذا دليل على قوة إيمانه
وشدة استحضاره لرقابة الله عز
وجل والحساب الأخروي .



**من مواقف أبي يوسف يعقوب الفسوي
رحمه الله**

من ذلك ما ذكره الحافظ ابن
كثير في ترجمة الإمام أبي يوسف
يعقوب بن أبي معاوية الفسوي قال:
وقد رحل في طلب الحديث إلى
البلدان النائية، وتغرَّب عن وطنه
ثلاثين سنة، وروى ابن عساكر عنه
قال: كنت أكتب في الليل على ضوء
السراج في زمن الرحلة، فبينما أنا ذات
ليلة إذ وقع شيء على بصري فلم



أبصر معه السراج، فجعلت أبكي
على ما فاتني من ذهاب بصري،
وما يفوتني بسبب ذلك من كتابة
الحديث، وما أنا فيه من الغربة، ثم
غلبتني عيني فتمت فرأيت رسول
الله ﷺ فقال: مالك؟ فشكوت إليه ما
أنا فيه من الغربة وما فاتني من كتابة
السنة، فقال: ادن مني، فدنوت منه
فجعل يده على عيني، وجعل كأنه
يقرأ شيئاً من القرآن، ثم استيقظت



فأبصرت وجلست أسبح الله ^(١) .
وهكذا كان اهتمام الإمام
الفسوي سببا فيما نزل به من الغم
الشديد حينما فقد بصره، فلم يفكر -
آنذاك - بأمور دنياه وإنما كان باله
مشغولا بما سيفوته من كتابة السنة
النبوية بسبب فقد البصر، وقد رحمه

(١) البداية والنهاية ١١/٦٣ - ٦٤ .

الله تعالى فشفاه بواسطة رقية رسول
الله ﷺ إياه في المنام، وأكرم بها من
واسطة !

**من مواقف عبد الله بن المبارك وابن
شقيق رحمهما الله**

من أمثلة اهتمام العلماء بالعلم
وهيامهم بمذاكرته ما روي عن علي
ابن الحسن بن شقيق رحمه الله قال:
قمت لأخرج مع ابن المبارك في ليلة
باردة من المسجد، فذاكرني عند
الباب بحديث أو ذاكرته فما زلنا
نتذاكر حتى جاء المؤذن للصبح^(١).

(١) سير أعلام النبلاء ٨ / ٣٣٩.

فهذان العالمان الجليلان
يستغرقان في مذاكرة الحديث ليلة
كاملة عند باب المسجد، ولم يعكّر
عليهما مكان من برودة الجو لأن
اشتتقاهما إلى المذاكرة واستغراق
أفكارهما في العلم ينسيهما لوافح
البرد وسائم الحر .

من مواقف علي بن عاصم رحمه الله
من ذلك ما ذكره الإمام الذهبي
عن الخضر بن أبان قال: سمعت علي
ابن عاصم يقول: خرجت من واسط
أنا وهشيم إلى الكوفة لِلْقِيَّ منصور -
يعني ابن المعتمر - فلما خرجت
فراسخ لقيني أبو معاوية، فقلت: أين
تريد؟ قال: أسعى في دين عليّ،
فقلت: ارجع معي فإن عندي أربعة
آلاف أعطيك منها ألفين، فرجّعته
فأعطيته ألفين، ثم خرجت فدخل



هشيم الكوفة غداة، ودخلتها العشي
فذهب فسمع من منصور أربعين
حديثاً، ودخلت أنا الحمام، ثم
أصبحت فأتيت باب منصور فإذا
جنازته، فقعدت أبكي، فقال شيخ
هناك: يا فتى ما بيكيك؟ قلت: قدمت
لأسمع من هذا الشيخ فمات، قال:
فأدلك على من شهد عرس أم ذا؟
قلت: نعم، قال: اكتب: حدثنا
عكرمة عن ابن عباس، فجعلت
أكتب شهراً، فقلت: من أنت؟ قال:



أنا حصين بن عبد الرحمن ماكان بيني
وبين أن ألقى ابن عباس إلا تسعة
دراهم، وكان عكرمة يسمع منه ثم
يجيء فيحدثني^(١).

ففي هذا الخبر مواقف عالية :
فالموقف الأول في رجوع علي
ابن عاصم الواسطي ليقضي دين
أحد العلماء وهو أبو معاوية، وهذا

(١) سير أعلام النبلاء ٩/ ٢٥٣ .

مثل من الكرم المتأصل في النفس،
حيث أَجَّل سفره من أجل هذه
المهمة، ولم يطلب منه أبو معاوية
وإنما ذكر فقط بأنه خرج من أجل
طلب سداد دين عليه، وليس غريبا
هذا الكرم على علماء الدين بل هو
الغالب عليهم وخاصة فيما بينهم
ومع طلابهم لأنهم كانوا يريدون
وجه الله تعالى والدار الآخرة، ولأن
مثل هذا الموقف يكون بعيداً عن
الخيلاء والمباهاة، وهم كانوا أحرص



شيء على توقّي أمراض القلوب .
والموقف الثاني: في بكاء علي بن
عاصم حينما فاته السماع من منصور
ابن المعتمر، والبكاء أثر من آثار
حرقة النفس وكمدها على فوات
المحبوب، وقد كان العلم أعزَّ محبوب
من المطالب عند أهل العلم .
وقد كان علي بن عاصم
يستطيع سماع ما فاته من مرويات
منصور بن المعتمر من تلامذته الذين
سمعوا منه، ولكنه كان يريد علو



الإِسْنَاد، وكان ذلك مطلباً عزيزاً عند
أهل الحديث رحمهم الله تعالى، وقد
عَوَّضَهُ الله سبحانه بما يشفي وَجْدَهُ
ذلك بما سمع من حصين بن عبد
الرحمن الذي لم يكن بينه وبين ابن
عباس رضي الله عنهما إلا عِكرمة .

والموقف الثالث: فيما قام به
حصين بن عبد الرحمن من مواساة
علي بن عاصم حينما رأى مصيبتَهُ
بفقد منصور بن المعتمر، حيث جلس
يحدثه شهراً، فعوضه عما فاتهُ مما قدم



الكوفة من أجله، وقد كان العلماء
يقدرّون طالب العلم الذي يلمسون
منه إخلاصاً في طلب العلم .

وإلى جانب حرص الطلاب في
ذلك الزمن على تعلم العلم نجد
الآباء يشجعون أبناءهم ويوجهونهم
إلى العلماء، ويبدلون في سبيل ذلك
الكثير من أموالهم كما جاء عن عاصم
ابن علي أنه قال: دفع إليّ أبي مائة



ألف درهم، وقال: اذهب فلا أرى
لك وجهًا إلا براءة ألف حديث^(١).
فهذا مثل من أمثلة اهتمام الآباء
بتوجيه أبنائهم نحو العلم مع
ما يكلفهم ذلك من أموال، فقد كانوا
أسخياء بأموالهم في سبيل تعليم
أبنائهم، وإذا كان طلب العلم

(١) سير أعلام النبلاء ٢٥٢/٩، تاريخ بغداد
٤٤٧/١١.

لا يحصل إلا بهذا الجهد البدني والمالي
فإنه أبقى له وأجدر بالانتفاع به .



موقف لأبي حاتم وصاحبيه رحمهما الله

من صور المعاناة في سبيل
طلب العلم ما ذكر عن عبد الرحمن
بن أبي حاتم قال: سمعت أبي يقول:
لما خرجنا من المدينة من عند داود
الجعفري صرنا إلى الجار^(١) وركبنا

(١) هو ميناء المدينة قديماً ، وهو الآن قرب مدينة
« ينع » .

البحر وكنا ثلاثة أنفس، أبو زهير
المروزي-شيخ- وآخر نيسابوري،
فركبنا البحر وكانت الريح في
وجوهنا فبقينا في البحر ثلاثة
أشهر، وضاعت صدورنا، وفني ما كان
معنا من الزاد، وبقيت بقية، فخرجنا
إلى البر فجعلنا نمشي أياما حتى فني
ما كان معنا من الزاد والماء، فمشينا
يوما وليلة لم يأكل أحد منا شيئا
ولاشربنا، واليوم الثاني كمثل، واليوم
الثالث، كل يوم نمشي إلى الليل فإذا



جاء المساء صلينا وألقينا بأنفسنا
حيث كنا، وقد ضعفتُ أبداننا من
الجوع والعطش والعياء، فلما أصبحنا
اليوم الثالث جعلنا نمشي على قدر
طاقتنا ، فسقط الشيخ مغشيا عليه ،
فجئنا نحركه وهو لا يعقل فتركناه
ومشينا أنا وصاحبي النيسابوري قدر
فرسخ أو فرسخين فضعتُ
وسقطتُ مغشيا علي، ومضى صاحبي
وتركني ، فلم يزل هو يمشي إذ بصر
من بعيد قوما قد قربوا سفينتهم من

البر، ونزلوا على بئر موسى عليه السلام ، فلما
عابنهم لَوْح بثوبه إليهم فجاءوه
معهم الماء في إداوة فسقوه وأخذوا
بيده فقال لهم: الحقوا رقيقين لي قد
ألقيا بأنفسهما مغشيا عليهما .

فما شعرت إلا برجل يصب
الماء على وجهي ففتحت عيني،
فقلت: اسقني فصب من الماء في
ركوة أو مشربة شيئاً يسيراً فشربت
ورجعتُ إليَّ نفسي ولم يُروني ذلك
القدر، فقلت: اسقني فسقاني شيئاً



يسيرا وأخذ بيدي ، فقلت: ورائي
شيخ مُلَقَى ، قال: قد ذهب إلى ذاك
جماعة، فأخذ بيدي وأنا أمشي أجر
رجلي، ويسقيني شيئاً بعد شيء، حتى
إذا بلغت إلى عند سفيتهم وأتوا
برفقي الثالث الشيخ، وأحسنوا إلينا،
فبقينا أياماً حتى رجعت إلينا أنفسنا .
ثم كتبوا لنا كتاباً إلى مدينة يقال
لها «رايه» إلى واليهم ، وزودونا من
الكعك والسويق والماء، فلم نزل
نمشي حتى نفد ما كان معنا من الماء



والسويق والكعك، فجعلنا نمشي
جياعا عطاشا على شط البحر، حتى
وقعنا إلى سُلحفاة قد رمى بها البحر
مثل الترس، فعمدنا إلى حجر كبير
فضربنا على ظهر السلحفاة فانفلق
ظهرها، وإذا فيها مثل صفرة البيض،
فأخذنا من بعض الأصداف الملقى
على شط البحر، فجعلنا نغترف من
ذلك الأصفر فنتحسّاه حتى سكن
عنا الجوع والعطش.

إلى أن ذكر ووصلهم إلى مدينة



الراية، وإكرام عاملها إياهم ثم
وصولهم إلى مصر^(١).

وهكذا تعرّض أبو حاتم
وصاحباة للموت مرتين وتحملوا
تلك الشدائد والأهوال من أجل
طلب العلم، وإن علماً يحصل بسببه
هذا البلاء الكبير لا بد أن يرسخ في

(١) الجرح والتعديل ١/ ٣٦٤-٣٦٦.

الأذهان، وأن يهتمَّ به أصحابه اهتماماً
بالغاً، فقد كان ثمنه باهظاً ، بخلاف
العلم الذي يُيسَّر أسبابه فقد يهون
على أصحابه .



موقف لمحمد بن طاهر رحمه الله
من أخبار المعاناة في طلب
العلم ما روي عن الحافظ محمد بن
طاهر أنه قال: أقمت بتيس مدة على
أبي محمد بن الحداد ونظرته^(١) فضاقت
بي^(٢) فلم يبق معي غير درهم، وكنت

(١) يعني ليتعلم منهم العلم .

(٢) يعني أصابته ضائقة وهي الفقر .



أحتاج إلى حبر وكاغد^(١) ، فترددت في
صرفه في الحبر أو الكاغد أو الخبز ،
ومضى على هذا ثلاثة أيام لم أطعم
فيها ، فلما كان بكرة اليوم الرابع قلت
في نفسي: لو كان لي اليوم كاغد لم
يمكنني أن أكتب من الجوع ، فجعلت
الدرهم في فمي وخرجت لأشتري

(١) أي ورق .

خبزا فبلعته، ووقع عليّ الضحك،
فلقيني صديق وأنا أضحك ، فقال:
ما أضحكك؟ قلت: خير، فألحَّ عليّ
وأبیت أن أخبره، فحلف بالطلاق
لتصدقني، فأخبرته فأدخلني منزله
وتكلف أطعمة، فلما خرجنا لصلاة
الظهر اجتمع به بعض وكلاء عامل
تنيس ابن قادوس، فسأله عني، فقال:
هو هذا، فقال: إن صاحبي منذ شهر
أمر بي أن أوصل إليك كل يوم عشرة
دراهم قيمتها ربع دينار، وسهوت



عنه، فأخذ منه ثلاثاً^(١) وجاء بها .
فهذا مثل من المعاناة الشديدة
من أجل مواصلة التعلم ، وصورة
مشرقة من التكافل بين الإخوة،
والشعور البالغ بمشاعر الأصدقاء
والإسراع في نجدة المعوزين ممن أخذ
العلم كل أوقاتهم وحال بينهم وبين

(١) سير أعلام النبلاء ٣٦٧ / ١٩ .



القوت الضروري فضلا عن لذيذ
العيش. وفيه صورة من صور الفرج
بعد الشدة ، وما أحلى وقع ذلك على
نفس المهموم الذي تنازع قلبه طموح
مهيمن نحو بلوغ الكمال في العلم،
وضرورة ملحة نحو تلبية
الاحتياجات الضرورية .



من مواقف الإمام عبد القادر الجيلاني رحمه الله

من أخبار المعاناة التي مر بها
العلماء في مرحلة طلب العلم مذكره
ابن النجار قال: قرأت بخط أبي بكر
عبد الله بن نصر بن حمزة التيمي:
سمعت الشيخ عبد القادر^(١) يقول:
بلغت بي الضائقة في الغلاء إلى أن

(١) هو الإمام أبو محمد عبد القادر الجيلاني .



بقيت أياما لا آكل طعاما، بل اتبع
المنبذات، فخرجت يوما إلى الشط
فوجدت قد سبقني الفقراء،
فضعفت وعجزت عن التماسك
فدخلت مسجداً وقعدت وكدت
أصافح الموت، ودخل شاب أعجمي
ومعه خبز وشواء وجلس يأكل،
فكنت أكاد كلما رفع لقمة أن أفتح
فمي، فالتفت فرآني فقال: بسم الله،
فأبيت، فأقسم علي، فأكلت مقصراً،
وأخذ يسألني، ما شُغلك ومن أين



أنت؟ فقلت: متفقه من جيلان، قال:
وأنا من جيلان ، فهل تعرف لي شابا
جيلانيا اسمه عبد القادر يُعرف
بسبط أبي عبد الله الصومعي الزاهد؟
فقلت: أنا هو، فاضطرب لذلك
وتغير وجهه، وقال: والله يا أخي لقد
وصلت إلى بغداد ومعني بقية نفقة لي،
فسألت عنك فلم يرشدني أحد إلى أن
نفدت نفقتي ، وبقيت بعدها ثلاثة
أيام لا أجد ثمن قوتي إلا من مالك،
فلما كان هذا اليوم الرابع قلت: قد



تجاوزتني ثلاثة أيام وحلّت لي الميته،
فأخذت من وديعتك ثمن هذا الخبز
والشواء، فكل طيبا فإنما هو لك وأنا
ضيفك الآن ، فقلت: وماذا؟ قال:
أملك وجّهتُ معي ثمانية دنانير والله
ماخنتك فيها إلى اليوم، فسكّنته
وطيّبتُ نفسه، ودفعْتُ إليه شيئاً
منها^(١) .

(١) سير أعلام النبلاء ٢٠ / ٤٤٤ - ٤٤٥ .

وهكذا تعرّض هذا العالم الرباني
للجوع الشديد أثناء طلب العلم،
وحصلت له هذه القصة العجيبة مع
ذلك الشاب الجيلاني الذي ساقه الله
تعالى إليه في وقت اشتداد الأزمة، وكان
ذلك الشاب أميناً حينما صبر على الجوع
ثلاثة أيام ولم ينفق من الأمانة التي معه،
كما كان الشيخ عبد القادر الجيلاني
كريماً سمحاً حينما طيّب نفس ذلك
الشاب الذي حمل له تلك الأمانة
وأعطاه منها .



وفي هذا الخبر مثل من لطف
الله تعالى بعباده الصالحين حيث قدَّر
وصول ذلك المبلغ بعدما أشرف
صاحبه على الموت من غير أن يعلم
به ولا أن يبحث عنه .



خبر المحمدين الأربعة في مصر رحمهم الله

من الأمثلة الرائعة لصبر
طلاب العلم على الشدائد ما روي
عن أبي العباس البكري قال: جمعتُ
الرحلة بين محمد بن جرير، ومحمد بن
إسحاق بن خزيمة ، ومحمد بن نصر
المروزي ، ومحمد بن هارون الروياني
بمصر، فأرملوا ولم يبق عندهم
ما يقوتهم، وأضرَّ بهم الجوع،
فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون



إليه، فاتفق رأيهم على أن يستَهِمُوا
ويضربوا القرعة ، فمن خرجت عليه
القرعة سأل لأصحابه الطعام،
فخرجت القرعة على محمد بن
إسحاق ابن خزيمة، فقال لأصحابه:
أمهلوني حتى أتوضأ وأصلي صلاة
الخيرة، قال: فاندفع في الصلاة فإذا
هو بالشموع، وَخَصِيٌّ مِنْ قَبْلِ وَالِي
مصر يدق الباب، ففتحوا الباب
فنزل عن دابته، فقال: أيكم محمد بن
نصر؟ ف قيل: هو هذا ، فأخرج صرة



فيها خمسون ديناراً فدفعتها إليه ، ثم
قال: أيكم محمد بن جرير؟ فقالوا:
هو ذا، فأخرج صرة فيها خمسون
ديناراً فدفعتها إليه ، ثم قال: أيكم
محمد بن هارون؟ فقالوا: هو ذا،
فأخرج صرة فيها خمسون ديناراً
فدفعتها إليه، ثم قال: أيكم محمد بن
إسحاق ابن خزيمة؟ فقالوا: هو ذا
يصلي ، فلما فرغ دفع إليه الصرة وفيها
خمسون ديناراً .

ثم قال: إن الأمير كان قائلاً



بالأمس فرأى في المنام خيالاً قال: إن
المحامد طَوَّروا كَشَحَهُم جِيعاً ، فَأَنْفَذَ
إِلَيْكُمْ هَذِهِ الصَّرَارَ ، وَأَقْسَمَ عَلَيْكُمْ:
إِذَا نَفَذْتُ فَابْعَثُوا إِلَيَّ أَمَدَّكُمْ ^(١) .

وهكذا كانت حياة هؤلاء
العلماء الكبار أيام الطلب ، يجوعون
مرة ويشبعون أخرى ، ويكون آخر

(١) تاريخ بغداد ٢/ ١٦٤ - ١٦٥ .

همَّهم الطعام، ولذلك لم يكونوا
يدخرون منه ما يكفيهم لمدة طويلة .
ولقد كان اجتماع همهم على
العلم من أكبر العوامل المساعدة في
حصولهم على ذلك الكم الكبير من
المرويات في العلم مع الإتقان .
ولقد اشتمل هذا الخبر على
كرامة من الله تعالى لأولئك العلماء
الأولياء حيث رأى أمير مصر في المنام
من يخبره بشأنهم .



**من مواقف علي بن أبي طاهر
رحمه الله**

من الاهتمام بالعلم العناية
بالكتب العلمية، ومن أمثلة عناية
العلماء بذلك ما روي عن سليمان بن
يزيد: أن علي بن أبي طاهر لما رحل
إلى الشام وكتب الحديث جعل كتبه
في صندوق وقَّره^(١) وركب البحر،

(١) يعني طلاه بالقار حتى لا يصل إليه الماء .



فاضطربت السفينة وماجت فألقي
الصندوق في البحر، ثم سكنت
السفينة، فلما خرج منها أقام على
الساحل ثلاثا يدعو الله، ثم سجد
في الليلة الثالثة وقال: إن كان طلبي
ذلك لوجهك وحبّ رسولك
فأغثني برّد ذلك، فرفع رأسه فإذا
الصندوق مُلقًى عنده، فقدم وأقام
برهة، ثم قصدوه لسماع الحديث
فامتنع منه .

قال: فرأيت النبي ﷺ في منامي



ومعه علي رضي الله عنه، فقال النبي
ﷺ: يا علي^(١) من عامل الله بما عاملك
به على شط البحر؟! لا تمتنع من
رواية أحاديثي، قال: فقلت: قد تبت
إلى الله، فدعا لي وحثني على
الرواية^(٢).

(١) يعني علي بن أبي طاهر .

(٢) سير أعلام النبلاء ٨٨ / ١٤ .

فهذا مثل من العناية بكتب
العلم حيث حفظها علي بن أبي
طاهر من وصول الماء إليها، وكان
حفظه لها متقناً حيث بقيت مدة في
البحر ولم يتسرب الماء إليها، وهو
بهذا قد أخذ بجانب الحذر
والاحتياط ولم يغتر بجانب السلامة
التي هي الغالب وهذا دليل على
الحزم وبُعد النظر .

وقد حصل له بفقد كتبه حزن
شديد جعله ينفرد من قافلته ويبقى



على شط البحر ثلاثة أيام يدعو الله
تعالى أن يمنَّ عليه بعودة صندوق
كتبه، وكان في حال تلهف ورجاء
بالغ ولم ييأس من رحمة الله تعالى،
فأكرمه سبحانه واستجاب دعاءه
وردَّ عليه كتبه سليمة لم يؤثر عليها
البحر .

ولكنه رحمه الله تعالى غفل عن
أهم مجال من مجالات شكر المنعم
تبارك وتعالى على تلك النعمة،
حيث امتنع عن نشر العلم، فتداركه



الله سبحانه برحمته وهياً له تلك
الرؤيا الصالحة التي غيّر بسببها
منهجه واهتم بنشر العلم .



من مواقف أبي بكر الإسماعيلي
رحمه الله

من أمثلة حرص العلماء
الشديد على طلب العلم حتى في
سنٍّ مبكرة ما روي عن أبي بكر
الإسماعيلي أنه قال: لما ورد نعي محمد
ابن أيوب الرازي بكيت وصرخت
ومزقت القميص ووضعت التراب
على رأسي، فاجتمع عليَّ أهلي
وقالوا: ما أصابك؟ قلت: نُعي إليَّ
محمد بن أيوب، منعتموني الارتحال



إليه، فسلّوني وأذنوا لي في الخروج
إلى «نسا» إلى الحسن بن سفيان، ولم
يكن ها هنا شعرة - وأشار إلى
وجهه - ^(١).

فهذا مثل من الشوق البالغ
والتلهف على لقاء الشيوخ، فقد كان
أبو بكر الإسماعيلي يستأذن أهله

(١) سير أعلام النبلاء ١٦ / ٢٩٥ - ٢٩٦ .

ويلجُ عليهم في السفر إلى محمد بن
أيوب ويأبون عليه، ولما مات ابن
أيوب عدَّ موته مصيبة كبرى حلت
به حتى أفرع من حوله بصياحه
عليه، وقد كان هذا المنظر المؤثر
شافعا له ليأذن له أهله في السفر إلى
الحسن بن سفيان، وقد كان كما ذكر
الذهبي أقل من محمد بن أيوب
الرازي في علو الإسناد، وكان أهل
العلم يهتمون بذلك، لأنه كلما قل
رجال الإسناد كان أكثر مظنة



للسلامة .

وكون هذا الشوق الكبير
يصدر من طلاب العلم وهم في أول
سن الشباب دليل على ارتفاع
مستوى التعليم في تلك العصور
وسمو الأهداف عندهم، حيث إن
المظنون في من كانوا في تلك السنّ
الميل نحو متاع الدنيا ولهوها .



موقف لأبي عبد الله محمد المازري رحمه الله

مما يستحق الإعجاب والثناء
ما قام به الإمام أبو عبد الله محمد بن
علي المازري من دراسة علم الطب
إلى جانب تفوقه في العلوم الدينية،
قال الإمام الذهبي: قيل إنه مرض
مَرَضَةً فلم يَجِدْ من يعالجه إلا يهودي،
فلما عوفي على يده قال: لولا التزامي
بحفظ صناعتي لأَعْدَمْتُكَ المسلمين،
فأثر هذا عند المازري فأقبل على تعلم



الطب حتى فاق فيه، وكان مما يفتي
فيه كما يفتي في الفقه ^(١).

وهذا الخبر يصور لنا حقد
الأعداء على المسلمين وخاصة على
علماء الدين الذين يعتقدون أنهم
سبب قوة المسلمين، وامتداد
حيويتهم ووعيهم على مر الأجيال.

(١) سير أعلام النبلاء ٢٠/١٠٥ - ١٠٦.

فَمِنْ مَنْطَلَقِ هَذَا الْحَقْدِ الدِّفِينِ
صَرَحَ ذَلِكَ الطَّبِيبُ الْيَهُودِي أَنَّهُ يُوَدُّ
قَتْلَ ذَلِكَ الْعَالَمِ الْجَلِيلِ حَتَّى يَضُرَّ
بِقَتْلِهِ الْمُسْلِمِينَ .

وَقَدْ دَفَعَ ذَلِكَ هَذَا الْعَالَمَ إِلَى أَنْ
تَعْلَمَ الطَّبَّ حَتَّى فَاقَ فِيهِ وَأَصْبَحَ
مَرَجَعًا لِلْأَطْبَاءِ، وَقَدْ قِيلَ عَنْهُ إِنَّهُ
أَحَدُ الْأَذْكِيَاءِ الْمَوْصُوفِينَ فَسَاعَدَهُ
ذِكَاؤُهُ عَلَى تَعْلَمِ الطَّبِّ وَالْبِرَاعَةِ فِيهِ،
مَعَ انْشِغَالِهِ بِالْعُلُومِ الْأُخْرَى .
وَإِنْ فِي هَذَا الْخَبَرِ دَرَسًا بَلِيغًا



للمسلمين كي يصلوا إلى كفاية
أنفسهم في مختلف العلوم حتى
لا يحتاجوا إلى غيرهم، بل إن المفترض
فيهم أن يكونوا أئمة وهداة في كل
علم نافع، وأن يسخروا علمهم
للدعوة إلى دينهم .



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	مواقف في الاهتمام بالعلم
٧	من مواقف عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
١٣	من مواقف سعيد بن المسيب وقتادة
١٦	من مواقف الإمام أبي حنيفة
٢٣	من مواقف هاشم السلمي وأبي شيبة
٢٧	موقف لهشام بن عمار
٣٢	من مواقف أبي يوسف الفسوي
٣٦	من مواقف عبد الله بن المبارك وابن شقيق



٣٨	من مواقف علي بن عاصم
٤٧	موقف لأبي حاتم وصاحبيه
٥٥	موقف لمحمد بن طاهر
٦٠	من مواقف عبد القادر الجيلاني
٦٦	خبر المحمدين الأربعة في مصر
٧١	من مواقف علي بن أبي طاهر
٧٧	من مواقف أبي بكر الإسماعيلي
٨١	من مواقف أبي عبد الله المازري
٨٥	فهرس الموضوعات